زيارة خادم الحرمين الشريفين لمصر عام ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م

دراسة في العلاقات السعودية المصرية

أ. د. عبدالمنعم بن إبراهيم الجميعي
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
أمين عام الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

يعتزّ المصريون بخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، ويتذكرون دائما مواقفه العربية الأصيلة في المواقف الصعبة مع مصر، والبلدان العربية والإسلامية كافة، ويتضح ذلك من أقوال وكتابات زعماء مصر وكبار مثقفيها؛ فقد قال عنه الرئيس مبارك: إنه رجل عربي أصيل أسهمت المملكة العربية السعودية في عهده بأشياء كثيرة تجاه قضايا العالم(١)، وإن دبلوماسيته الهادئة زادت من توثيق وتعميق العلاقات السعودية المصرية، خاصةً وأن العلاقات بين البلدين كثيرة ومتعددة؛ فهناك إسلام، ولغة، وصلة رحم، وعلاقات لا تعد ولا تحصى.

وأوضح الرئيس أن ما حققته المملكة في عهد خادم الحرمين الشريفين من تنمية وتطور في شتى المجالات، يعد مصدر اعتزاز لكل إنسان عربي(٢)، كما أشاد بجهود جلالته المستمرة في صيًانة المقدسًات الإسلامية، وتوسيع وتحديث مساحاتها ، وتوفير كل ما

---

(١) حديث للرئيس مبارك لصحيفة السياسة الكويتية نشرته الأهرام.

(٢) الأهرام في ١٩٨٦/١٠/٢٠.

ييسر على المسلمين أداء مناسكهم(٣)، وأشاد بالدور المهم الذي يقوم به خادم الحرمين الشريفين لدفع مسيرة منظمة التضامن الإسلامي وتمكينها من أداء دورها ، وإسهامه البارز في إنجاح المساعي الداعية إلى لمّ الشمل العربي. وأكد الرئيس مبارك أن السعوديين هم أكثر الشعوب قربا إلى مصر ، وأن علاقتهم بالمصريين تخالطها دائما المودة والاعتزاز المتبادل، وأنه يتمنى للشعب السعودي في ظلّ قيادة خادم الحرمين المزيد من التقدّم والازدهار.

وينظر المصريون إلى خادم الحرمين الشريفين على أنه الزعيم العربي الذي يقف بجانبهم في وقت المحن ، ويساندهم دائما في قضاياهم، وأنه الزعيم العربي الذي تتسم سياسته بدبلوماسيةٍ هادئة ، وأنه الداعي إلى ضرورة ترتيب البيت العربي من الداخل، وإلى وحدة الصف العربي ، كما ينظرون إلى دوره في إعادة العلاقات الأخوية بين العديد من الدول العربية بكل إجلال وإكبار.

ينظر المصريون إلى خادم الحرمين الشريفين على أنه الزعيم العربي الذي يقف بجانبهم في وقت المحن

وينظر المصريون بإعجاب شديد إلى دور خادم الحرمين الشريفين في التوسعة الضخمة بالمسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف، وإلى إنشائه مطبعةً للمصحف الشريف بالمدينة المنورة، وتوزيع الملايين من كتاب الله على ملايين المسلمين في أنحاء الكرة الأرضية كافة، وينظر المصريون بتقدير كبير إلى جهود خادم الحرمين من أجل القضية الفلسطينية، وإلى مساندته للشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس.

والمصريون ينظرون إلى خادم الحرمين الشريفين على أنه قوةٌ داعمة للإسلام والمسلمين؛ فقد مدَّ يد العون لجميع الأقليات

---

(٣) الأهرام في ١/٤/١٩٨٩.

الإسلامية في شتى أنحاء العالم ، وساعدهم في التعرف على أمور دينهم بشكل صحيح ، وخصّص جزءًا كبيرًا من دخل المملكة القومي لتقديم العون والمساعدة لأبناء المسلمين في الدول الإسلامية دون تباهٍ أو تفاخر ، وقام بمدّ يد المساعدة لكل عربيٍّ ومسلم ، وكثيرًا ما قام بحلّ مشكلاتٍ عربية استعصت بمرور الزمن.

وينظر المصريون كذلك إلى خادم الحرمين الشريفين على أنه حقق طفرةً كبيرةً لبلاده، ليس في مجال التطور والتنمية والإنجازات الرائعة التي تحققت في مجالي الصناعة والزراعة فحسب، بل في كافة مناحي الحياة بالمجتمع السعودي، خاصةً وأنه يمتلك رؤية مستقبليةً تحدد مسارها بضروب من الإنجازات العملاقة(٤)؛ فقد شجع خادم الحرمين على استثمار طاقات الشعب السعودي البشرية التي تعد الثروة الحقيقية لهذه الأمة ، فأمر بإقامة بنيةٍ ثقافيةٍ للإنسان السعودي قائمةٍ على التربية الإيمانية، جنبًا إلى جنب مع تحصيل العلوم والمعارف المختلفة(٥) . ومن هنا قابل المصريون زيارته لمصر بكل ترحاب وكل صدق في المشاعر والقلوب ، وتبارى الأهالي في الترحيب بجلالته معربينً عما تنطوي عليهم جوانحهم من اعتزازٍ له وتكريم .

ومع أن هذه الزيارة لم تستغرق سوى أربعة أيام، فقد كانت من أهم أحداث عام ١٤٠٩هـ/ مارس ١٩٨٩م، من ناحية توثيق العلاقات بين البلدين الشقيقين، خاصة وأنها كانت الزيارة الأولى لجلالته لمصر بعد تولّيه مقاليد الحكم في المملكة؛ فقد أعربت الصحف المصرية عن بهجتها لهذه الزيارة، كما احتشد الشعب المصري في كل

---

(٤) للتفاصيل انظر: حسين الشرع : المنظور الاقتصادي في المملكة العربية السعودية ، الرياض ١٤٠٣هـ/١٩٨٣.

(٥) أمين ساعاتي : التطورات السياسية في المملكة العربية السعودية ، جدة ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

مكان لتحيته خلال جولاته لزيارة معالم القاهرة الأثرية، وازدحمت الشوارع التي مر بها موكبه بالأهالي حتى لم تصبح العين ترى غير كتل بشريةٍ متراصّة ، وأجسام تتدافع وتتزاحم ، وأكفٍّ تصفّق حتى يكادُ الدم يتفجّر منها ، وحناجرَ ارتفعت فيها الأصوات بالدعاء إلى الله أن يحفظ جلالته.

وعندما زار خادم الحرمين الشريفين مدينتي السويس والإسماعيلية، خرج الأهالي في الزوارق لتحيته ، وشمل ترحيبهم الهتاف بحياته الغالية، مما يعدّ برهانا على محبة كل المصريين لشخصه الكريم.

وعندما توجّه خادم الحرمين الشريفين لزيارة مدينة الإسكندرية، وقف القطار الذي يقلّ جلالته في كل المحطات التي كان يمر بها من القاهرة إلى الإسكندرية حيث احتشد المصريون لتحيته والترحيب به. وهكذا سعدت مصر بوصول خادم الحرمين الشريفين إليها ، فاستقبله شعبها استقبالا دلَّ على ما يكنّه الشعب المصري له من حبٍّ وتقدير؛ فأبناء مصر يحبون كل المخلصين لأمتهم، فما بالنا بخادم الحرمين الشريفين صاحبِ الأيادي البيضاء على الإسلام والعروبة. وفي حفل تقليد جلالته وسَام النيل الذي يعدّ أرفع وسام مصريّ، قال خادم الحرمين: "لا أستطيع لو أردت أن أعبر عما في نفسي أو ما في نفس حكومة المملكة العربية السعودية وشعب المملكة. إن ما حدث يعبّر من قديم الزمان عن علاقة الشعب السعودي بالشعب المصري، وقادة مصر وقادة المملكة"، كما ذكر أثناء تقليد جلالته قلادة الملك عبدالعزيز للرئيس مبارك - وهي أرفع وسام في المملكة - أن "علاقة السعودية بمصر علاقة عُمرٍ ، وهي الآنَ تعمّقت أكثر وأكثر بزعامة أخي الرئيس مبارك"(٦) .

---

(٦) مبارك والعالم العربي ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٩م. ص ١٧٧.

وقد عبّر الرئيس مبارك عن أهمية هذه الزيارة بقوله: "لقاؤنا يأتي في وقتٍ مهم جدًا بالنسبة إلى القضايا العربية كافة".

وكان الزعيمان قد قاما بجولةٍ بحريةٍ في قناة السويس، عقدا أثناءها جلسة مباحثات تناولت الموقف العربي بصفةٍ عامة، والقضية الفلسطينية ومسيرةً السلام، والمشكلة اللبنانية، والمفاوضات بين العراق وإيران وسبل دعمها، للوصول إلى السلام الدائم في منطقة الخليج، وتوطيد العلاقات المتنامية في مختلف المجالات: السياسية والزراعية والصناعية بين السعودية ومصر.

كما دارت محادثاتٌ أخرى بين الزعيمين أثناء هذه الزيارة، قال عنها راديو لندن في نشرته المسائية في ٢٧ مارس ١٩٨٩م: إن زيارة خادم الحرمين لمصر جزءٌ من جهود تنسيق وجهات النظر العربية. وإلى جانب ذلك قام خادم الحرمين بافتتاحَ مركز الملك فهد للفشل الكلوي بالقصر العيني الذي تم إنشاؤه وتمويله على نفقته الخاصة.

وهكذا مضت هذه الزيارة الكريمة، وضيف مصر الكبير يرى ما يحيط به من حفاوةٍ وتكريم.

وقد عبّر خادم الحرمين عن الترحيب الحار الذي قوبل به بقوله: "الشكر قليلٌ على هذه الحفاوة البالغة، وإن روابط الدم والدين واللغة والإخاء بين السعودية ومصر تفوق كل وصفٍ أو تعبير". وقد جاء البيان المشترك الصادر في كلتا الدولتين ليؤكّد علٍى دعم التعاون بين البلدين في مختلف المجالات ، وتشجيع دور القطاع الخاص ، وكذلك الدعوة إلى عقد المؤتمر الدّولي لتحقيق السلامِ العادل والشامل في منطقة الشرق الأوسط.

> **عبّر خادم الحرمين عن الترحيب الحار الذي قوبل به بقوله: "الشكر قليلٌ على هذه الحفاوة البالغة"**

وهكذا جاءتٍ هذه الزيارة بما تضمنته دعمًا للعلاقات بين البلدين الشقيقين، وتوثيقًا لأواصر الصداقة والتعاون بينهما. حيّ الله المملكة وأعزّها وأسعدها تحت قيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، وأمده بالصحة وطول العمر لإسعاد شعب هذه الأرض الطيبة التي انبثق فيها نور الإسلام، وعلى ثراها قام أوّل مجتمعٍ إسلاميّ، انطلقت منه راية التوحيد.